انتشال جثامين الشهداء

قُصفَ أحدُ الأنفاقِ بثُلثٍ مِن خِيرة المُجاهدين، وانقطَعَ بِهم الاتِّصالُ، فَدعونَا اللهَ أَن يُسلِّمهم، لَكنَّ القَدَر قَد سَبَق دُعاءَنا، وَتَمَّ تَأكيدُ خَبَرِ استشهادِهم، وَظَلَّت أَجسادُهم تَحتَ الأرضِ أربعةَ أَشهُرٍ، لَم نَستطِع الوُصولَ إليهِم، فَكلَّفتْ القِيادة مَجموعةً مِن المُجاهدينَ بِبَدء الحَفر عَليهِم، حَتَّى نُؤدِّي حقَّهم علينا، ونُواريَهم في قُبورهم، فاستغرَقَ الحَفرُ مُدَّةً طَويلةً، مَعَ مَا في ذَلِك مِن مُخاطرةٍ، وَقَد فَتحنَا ثَغرةً تُوصل لِمكانِهم، فَدَخَل أَحَدُ المجاهدين[1]، ورَأى أَصعبَ مَشهدٍ في حياته، وَقَصَّ عَليَّ مَا رأى، فَكان حَديثُ المجاهدِ مَعي مَوعظةً بَليغةً، وَكَان فِيما قَاله: «لَقَد رَأيتُ جُثَّةَ أَبي جَعفر[2]، آآه أبو جَعفَر الذِي كَان يُدرِّبُنا عَلى الأسلحة، أبو جَعفر الذِي انتَظَر عَلى بُندُقِيَّة الـ 12.7 ثَماني سَاعاتٍ، لِأجلِ قَنص الضَّابطِ في حَرب عَام 2014م، وَقَنصَهُ وأردَاه قَتيلاً، أبو جَعفر الذِي سَبَقَنا في الأدَبِ والزُّهد والتَّواضُع والهِمَّة، للهِ أنت يَا أَبَا جعفر!، قَالَ لِي المجاهدُ: «لَم أرَ مِن أبي جَعفر شَيئاً، لَا وَجه ولا لِحية، وَلا حَتَّى عَيناه الجميلتَان، وَلا لِسانَه الذِي كَان يَصدحُ في مَيادينِ التَّدريبِ!!، لَا يوجدُ أيُّ مَلامِح»، آهٍ ما أحقَرَ هَذه الدُّنيا، إنَّها دُنيا هَيِّنة خَدَّاعة، فَأولياءُ اللهِ يُسامونَ فِيها العَذاب، وَأكملَ لِي صَاحبي كَلامَه قَائلاً: «لَن يَبقى مِن صِفاتِنا شَيء، كُلُّ مَا سَيُذكَرُ هُو أَعمالُنا، وأَنَا أَضعُهُ في الكِيس كُنت أقول: يَا الله لَا تَجعَل هَذِه المَشاهد تُنسيني جَمالَ الأرواحِ في القَناديلِ المُعلَّقةِ بالعَرش»، ثُمَّ انتقَلَ إلى الشَّهيدِ خَبَّاب، آهٍ ما ألطَفَه وأَصدَقَه، خَبابُ بن الأَرَت الصَّحَابِيُ الذِي كَان يُلَفُّ بالحَصيرِ فيُدخَّن جَسدُه في النَّار، وَخَبَّابُنا اليومَ لفَّته الأرض، فاللهمَّ أكرِم نُزُله وَوَسِّع مُدخله، كَان خَبابُ يَأتيني في الخَنادِقِ، ويُحبُّ أن نَتَدَارسَ سِيرة النَّبي ﷺ، رَجاؤُنا أنَّ خَباباً بِجانب نبينا الكريم ﷺ.

(1) وكانت مهمته: وضعهم في أكياس، وإخراجهم من فتحة النفق بواسطة حبل، وإرسالهم لمكان لنصلي عليهم وندفنهم.
(2) إن كنت نائماً فاعتدل، لأننا نتحدث عن خيرة صالحي زماننا.